

عصر العمل الذكي والحاجة إلى التواصل

«هل إصرار التقليد المسيحي على القيمة الخلاصية للجسد لا يزال منطقيًا؟ وإذا كان الأمر كذلك، لماذا؟ في عيد الظهور الالهي الذي مرلتوه، تلتقي ثلاثة شخصيات...». مقال دافيدي بروسبيري في جريدة البريد المسائي.

عزيزي مدير التحرير،

يقول شعار منسوب إلى ترتليانوس أن «الجسد هو محور الخلاص». لقد صاغ هذا الأب، وهو واحد من كبار آباء الكنيسة، سؤالًا حاسمًا بمصطلحات مادية إلى درجة فاضحة بالنسبة لنا، وبدون إدراك منا تقريبًا لها مرت من زمن الحداثة إلى زمن ما بعد الحداثة المفرد في رقميته. هل إصرار التقليد المسيحي على القيمة الخلاصية للجسد لا يزال منطقيًا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا؟

وتلتقي ثلاثة شخصيات في عيد الظهور الالهي الذي مرلتوه، وبصفتي باحثًا علميًا، أحببت دائمًا أن أتمثل بهم: ملوك المجوس، رجال العلم الذين يفحصون الطبيعة بحثًا عن الحقائق التي يمكن أن تساهم في حل المشاكل الحياتية. ومراقبتهم للنجوم أدت بهم إلى خفض بصرهم. وتنتهي رحلتهم إلى مغارة بيت لحم، حيث يتوقفون للسجود لـ «طفل». وليس من الوقاحة أن نتساءل عن ما هو خارق للعادة في طفل. والإجابة لمن يؤمن ليست صعبة: ففي الجسد الصغير لهذا الطفل، الذي يبحث عن نظرة أمه ومداعباتها، وما يظهر هو حب الله لخليقته، حب هو رغبة في التقارب والحميمية والشركة في الحياة. وهذا ما تقوله ذراعي الطفل يسوع الممدودان نحو أمه لجميع المسيحيين.

فسبب التفاعل بـ «اللحم والدم» في المسيحية هو أمر جاد ويمكن للجميع فهمه. فهو يتعلق بحقيقة أن الإنسان يعرف ويدرك الحب عبر لغة الجسد. فأن نكون بشريًا يعني هذا أيضًا: إذ لسنا أرواحًا خالصة. فلا شيء يمكن أن يحل محل الجسد أو نظرة أو عناق أو كلمة منطوقة مباشرة. فالله لم يتصل بنا ليخبرنا من نحن في عينيه.

وبغض النظر عن أي اعتبار سياسي وصحي سليم، أعتقد أنه من المهم عدم إغفال الدرس الحقيقي الذي نتعلمه من جائحة كورونا: وهو أن الجسد ليس هو محور الخلاص السماوي فقط، بل، بطريقة علمانية، هو كذلك أيضًا للصحة على الأرض التي تُعرفها أيضًا منظمة الصحة العالمية

ذاتها باعتباره الصحة والعافية «العقلية والاجتماعية». فالوقائع اليومية هي التي تخبرنا بذلك. وتروي شهادات المعلمين الصعوبات التي يواجهها الشباب الذين يتحملون العواقب الممتدة في الزمن والناجمة عن التعلم عن بعد. وتتزايد ظاهرة العزلة الاجتماعية والمعاناة النفسية بشكل مأساوي. وتشير الأبحاث حول العمل الذكي إلى أن العمل عن بُعد له مستويات من الكفاءة مماثلة لمن يذهب إلى محل عمله، ولكن هناك تساؤلات أقل حول الآثار طويلة المدى لمجتمع افتراضي وغير متمركز بشكل متزايد.

هذه ديناميات كانت موجودة قبل فترة طويلة من انتشار الجائحة. وقبل عدة سنوات، أكد مكتب الجراح العام في الولايات المتحدة، المتحدث الرسمي عن شؤون الصحة العامة في الحكومة الفيدرالية، بدون تردد، بأن أكبر تهديد للصحة العامة ليس السرطان أو مرض السكري، بل هو الشعور بالوحدة. إذ تُظهر الدراسات التي أجراها الاقتصاديان آن كيس وأنجوس ديتون حول «الوفيات بدافع اليأس» العلاقة بين انخفاض متوسط العمر المتوقع في بعض شرائح الشعب الأمريكي وضعف الروابط الاجتماعية.

وكم من مرة كررنا لأنفسنا، مرددين صدى كلمات البابا، أنه لا أحد يخلص وحده. والآن بعد أن قللت اللقاحات بشكل كبير من معدل وفيات الفيروس، ونحاول جاهدين في تخيل «وضع طبيعي» جديد، نود أن نضيف أنه لا أحد يخلص حتى «عن بعد». فما زلنا بحاجة إلى الجسد في العلاقة مع الآخرين كي نكون أنفسنا تمامًا.

هل جائحة كورونا إذن هي كارثة فقط؟ أقول لا. إذ ربما، في عصر الإنترنت و«العوالم الافتراضية الثلاثية الأبعاد» التي يعيش فيها محبوسين المزيد والمزيد من الناس، من المفارقات أنه كانت هناك حاجة إلى شيء مثل هذه الجائحة لتعيد لنا الشعور بالقوة العظيمة المختبئة في هاشية أيدينا وفي تواضع وجوهنا وشفاهنا.

دافيدي بروسبيري

الرئيس المؤقت لأخوية الشراكة والتحرر